خذلتني المدرسة

يقول ألبرت أينشتأين:

"المدرسة خذلتني... وأنا أيضًا خذلت المدرسة".

ها نحن نسير بخطوات سريعة على ابواب السنة الدراسية الجديدة، سنة لا نعرف إلى أين تتجه ولا كيف ستبدأ أو تنتهي، هل سيتم تأجيلها لأسباب نجهلها، أو لا نجهلها، هل سيكون هناك اضراب من قبل نقابات المعلمين كما هو الحال في بداية كل سنة دراسية أم لا ؟!

ليس هذا هو الموضوع الذي سأتحدث عنه، فقد اعتدنا على هذا "الموال" في بداية كل سنة دراسية .

اتصلت بي صديقة لي، أم لطلاب في مدارسنا، والعتب والحزن يعلو صوتها قالت:

"تقدم ابني بالأمس إلى مقابلة في إحدى المدارس المعروفة في المدينة، مدرسة ترى نفسها صرحًا تعليميًّا من الدّرجة الأولى. لقد قمت بتحضير ابني المراهق إلى هذه المقابلة المصيرية، قائلة له أنّ هذه هي فرصته الوحيدة والأخيرة في

اندماجه في مدرسة"محترمة"، بعد أن عدنا قبل اسبوع من خارج البلاد في محاولة يائسة بالاندماج والانخراط في الحياة الاجتماعية في القدس.

استقبلنا المعلّم الذي من المفترض أن يُجري المقابلة وتعرّف عليّ وعلى زوجي وقمنا بأجراء التعارف بينه وبين ابني، وقام المعلّم بدعوة ابني للدّخول إلى إحدى غرف المدرسة لاجراء المقابلة أو أمتحان القبول كما اتّضح لاحقًا، بينما انتظرنا نحن الوالدين في الخارج.

استمرت المقابلة مدة ساعتين، نعم ساعتين، خرج بعدها ابني وعلامات الإرهاق تبدو عليه، لننهال أنا ووالده على الاستاذ بسيل من الاسئلة، كيف كان؟ وماذا حدث؟ وهل تم قبوله؟! والكثير من التساؤلات .

"سوف تتلقون الجواب من مدير المدرسة" قال المعلم غير مبالٍ بنظرات القلق والتوتر لدي أنا وزوجي.

لملمنا أنفسنا وعدنا إلى البيت مشيًا على الأقدام ، فالمدرسة لا تبعد عن بيتنا كثيرًا. ما إن دخلنا البيت حتى أجهش ابني بالبكاء وانهمرت دموعه مدرارًا، ودخل إلى غرفته وأسدل الشبابيك ودخل إلى سريره دون أن ينبس ببنت

شفة.

أقلقني وضع ابني لكنني فضلت أن تركه وحده ليأخذ قسطًا من الرّاحة ولإعطائه مجال ليستعيد رباطة جأشه.

قمت بعد ساعة بالدخول إلى غرفة ابني وبادرته بالحديث وطلبت منه أن يصارحني بما حدث.

"لقد كانت من اسوأ التجارب، أحسست انني أمام محاكمة سيتم بعدها الحكم علي بالإعدام، لم يكن المعلم مراعيًا بل بالعكس شعرت أنه قد استغل نقاط ضعفي التي أخبرناه عنها واستغلّها ضدي، لقد قام بالصرّاخ عليّ خلال الامتحان واتّهمني بالإهمال"...

صعقت ممّا أخبرني به ابني وها أنا أقف حائرة أمام هذا الموقف المحرج.

هذه الحادثة تعيدني إلى الجملة التي ذكرتها لأينشتاين، لم تكن مشكلته في التعلّم بحد ذاته، بل في نظام جعل الامتحان معيارًا وحيدًا، والدّرجات مقياسًا للأرواح الشّابة.

صرخة أينشتأين ليست ضد التعليم، بل ضد القيود التي تخنق الفضول وتحوّل

المعرفة إلى سباقٍ تنافسيّ عقيم.

إلى متى ستبقى مدارسنا تكرر نفس الخطأ؟! متى سنرى، نحن المعلمين ومديري المدارس بكل طالبٍ وطالبةٍ ابناً من أبنائنا؟! إلى متى سنبقى نجري وراء العلامات والإنجازات العلمية ضاربين عرض الحائط بأرواح شبابنا وشاباتنا لنخلق جيلاً مهزومًا ومشوهًا من الدّاخل وعندها نرجع لنتساءل مستغربين: ماذا جرى وكيف حدث هذا ونحن غافلين؟!

دمتم بخير

أيمن جبارة